الحيوان والطير فى البيوت السلطانية المملوكية

د. أشرف سمير توفيق
مدرس بكلية دار العلوم جامعة المنيا
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

الترفيه والتسلية وسيلة هامة يقبل عليها الناس لقــضاء وقــت فــراغهم ، وجانب مهم فى حياة الشعوب الاجتماعية للترويح عن نفوسهم ، ولتربيض عقولهم وأبدانهم ، ولذا فإننا نجد أن لكل أمة وسائل الترفيه والتسلية الخاصة بهم والتى تتفق مع عاداتهم وتقاليدهم.

ولقد تعددت وسائل التسلية والترفيه فى جميع العصور ، ولا سيما العصر المملوكى الذى تعددت فيه تلك الوسائل ، فمنها ما اتصل بــالفنون أو الرياضـــة أو الفروسية وغيرها ، ومن تلك الوسائل التى شملت جانباً خاصاً فى حياة ســـلاطين المماليك اهتمامهم بالحيوان والطير على مختلف الأنواع ، كشغف سلاطين المماليك باقتناء الحيوانات والطيور ،وحرصوا على اقتناء كل ما هو غريب منها ، خاصـــة وأن ما يذكر أن من " لطائف طبيعة مصر أن بها أنواعاً مختلفة من الدواب مـــن خيل وبغال وحمير وبقر وجواميس وأغنام وماعز ، ومما يوصف من دوابها الجياد الحمر لفراتها ، والبقر والغنم لعظمها ، وبها الأوز والدجاج والحمام ، ومن الوحش الغزلان والأنعام والأرانب.(١)

وعُرف أن من طباع أهل مصر القدرة على تــرويض تلــك الحيوانـــات والطيور وهذا ما أشار إليه (ابن خلدون) فى مقدمته حيث قال : " أنهـــم يعلمـــون الحمر الأنسية ، والحيوانات العجم من الماشى والطائر مفردات الكلام ، والأفعـــال مما يستغرب بدورها ويعجز أهل المغرب عن فهمها" (٢)

فطبيعة مصر بما فيها من وفرة تلك الحيوانات والطيور ، وتعامل النـــاس معها واستخدامها كوسيلة من وسائل الترفيه عن أنفسهم ، فضلا عن حياة التـــرف

---

(١) السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ١٩٦٨، ج٢ ص ١٩٧

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ / ١٩٦٦م ، ج١ ص ٣٠٤

واللهو التى تمتعت بها مصر فى عصر سلاطين المماليك، كل ذلك أعزى سلاطين المماليك بالتفنن فى الاستمتاع بتلك الثروة من الحيوانات والطيور وجعلها وسيلة من ضمن الوسائل المتعددة للترفيه والاستمتاع بمباهج الحياة .

ويبدو أن الدافع وراء اهتمام السلاطين المماليك بالحيوان والطير حبهم للألعاب الرياضية المتصلة بالحيوان والطير ، حيث عنوا بالفروسية وسباق الخيل ، والرماية ، والصيد وغيرها من الألعاب المختلفة التى سيأتى ذكرها فى موضعها.

ويعتبر السلطان الناصر محمد من أكثر السلاطين شغفاً باقتناء الحيوان والطير، وخاصة الخيول حيث جلبت له الخيول من كالفة البلاد وعُرف عنه أنه كان جيداً المعرفة بالخيل وشياتها[١] وأنسابها ومبلغ أثمانها، وكان يربى السلالات الممتازة منها[٢] وكان يبذل الكثير من الأموال فى أثمانها، فيذكر أنه أقطع عرب آل مهنا وآل فضل عدة ضياع بأراضى حلب وحماه بسبب جلبهم للخيول الأصيلة إليه، غير أنهم كانوا يتقاضون أثمانها، كما جلب إليه أهل البحرين والحجاز والعراق كرائم خيولهم ، فدفع لهم فى الفرس من عشرة آلاف إلى عشرين ألف درهماً، وبلغ من رغبته فيها أنه صرف فى أثمانها دفعة واحدة ألف ألف درهم فى اليوم الواحد، وتكرر منه ذلك أكثر من مرة[٣]، كما يذكر أن الولاه كانوا يجمعون له أجود أنواع الخيول، فيذكر أن متولى البحيرة جمع له من خيل عربانها ستمائة

---

(١)الشيات : هو اللون الذى تمتاز به الفرس ، وفى محيط المحيط ، الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس أو غيره كالسواد فى البياض والعكس (أنظر: المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤-١٩٥٨ ، ج ٢ ق٢ ص ٢٦٠ هامش (٢).

(٢)المقريزى: السلوك ، ج٢ ق ٢ ص ٥٢٥.

(٣)المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية ، ج٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥،السلوك ، ج٢ ق ٢ ص ٥٣٠

وأربعين فرسا[١]

فتوالدت عنده خيول كثيرة ، فأغتنى بها عن جلب خيول أخرى ، وعمل على تهجين سلالاتها الأصلية ، وكان يعرض عليه فى كل سنة نتاج هذه الخيول ، فيسلمها للركابين – السواس – من العربان لرياضتها ، وكان الناصر يفرح بها عند عرضها عليه ويقول : هذه فلانة بنت فلانة أو فلان بن فلان ، عمرها كذا ، وشراء أمها كذا، وشراء أبيها كذا ، وكان يوصى الأمراء بأنه يضمروا هذه الخيول[٢] وكان يرتب لكل أمير من أمراء الألوف أربعة خيول فى كل سنة يضمرها[٣] ومن شد العناية بتلك الخيول كان يخشى عليها من الحسد ، فكان يعلق بها خرز اشتمل على بعض آيات القرآن الكريم بغرض حراستها ، مما جعل بعض المشايخ يفتون بأن ذلك بدعة [٤] كما بلغ من شدة حرضه على الخيول أنه منع ركوب الخيل للعامة، فيذكر أنه فى عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٣م كتب لجميع الولاة إلا يتركوا فرسا لبدوى ولا لفلاح سوى أرباب الأدراك ، فإنه يترك لكل واحد منهم فرس ، فركب الولاة إلى البلاد ، وأخذوا ما بها من خيول ، سيروها إلى اصطبل السلطان ، وكان يعطى لصاحب الخيل ثمنه ، فكثرت الخيول بالقاهرة[٥] كما يذكر أنه رسم للقضاة

---

(١)المقريزى : السلوك ، ج٢ ق ٣ ص ٩١٠

pool, s.l:A History of Egypt in The Middle Age, London 1925 (Fourth Edition, P.316)

(٢)يضمر الخيل: أى يعمل على ترويضها وربطها وعلفها حتى تسمن ، ثم يقلل من مائها وعلفها مدة ، وركضها بعد ذلك حتى تخف أوزانها ، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوما (أنظر: المعجم الوجيز ، ط٢٠٠٠م ، ص ٣٨٢)

(٣)المقريزى : السلوك ، ج٢ ق ٢ ص ٥٢٩.

(٤)السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ، دار الحداثة للطباعة ، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٤٤ ، لطفى نصار: وسائل الترفيه فى العصر المملوكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩، ص ١٨٤.

(٥)المقريزى : السلوك ، ج٢ ق٣ ص٩١٤.

بركوب البغال والأكاديش[١] كما عنى الناصر محمد بجمع الأغنام ، وأقام لها خوله وكان يبعث فى كل سنة الأمير (أقبغا عبد الواحد) فى عده من المماليك السلطانية ليكشف المراحات [٢] من قوص إلى الجيزة [٣] فأستقدم من بلاد الصعيد ألفى رأس من الضأن ، ومن الوجه البحرى مثلها ، ورسم بإقامة حوش من أجلها [٤] ، ولـم يكتف بذلك بل كان يرسل إلى عيذاب وبلاد النوبة لجلب الأصناف الممتـازة مـن الغنم، فبلغت الأغنام عنده ثلاثين ألف رأس سوى أتباعها ، واقتدى الأمـراء بـه فصارت لهم أغنام كثيرة فى عامة أرض مصر قبليها وبحريها [٥] كما كان لديه من الهجن، والأصائل والنياق خمسة آلاف ونيف سوى أتباعها [٦]

أما المواشى فكانت تكثر فى صعيد مصر ، واشتهرت قـوص بالمواشـى وذلك بسبب كثرة مراعيها وحقول القرط [٧] فكان الناصر محمد يحلب الكثير مـن

---

(١)المقريزى: السلوك، ج٢ ق٣ ص ٩١٠، والأكديش هو الحيوان المهجن (الحصان غير الأصيل) ومن ثم لم يكن من مراكب الأمراء ، بل كان مخصصا لمن كان دونهم، وكان يعادل الجياد الخاصة فى البلاد الواقعة شرقى مصر ، ويستخدم للركوب والحمل (أنظر: ابن الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشى ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣م، ج٤ ص ٣٦ هامش (٢) ، محيط المحيط ، لبنان ، بيروت ١٩٩٣ ، ص٧٧٣.

(٢)المرحات: من مرَّح ويقصد به لينة وأزال مرحه وشماسه (أنظر: المعجم الوجيز، ص ٥٧٧)

(٣)المقريزى : السلوك ، ج٢ ق ٢ ، ص ٥٣١

(٤)ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٨م-١٩٧٢م ، ج٩، ص ١١٩.

(٥)المقريزى: السلوك ، ج٢ ق٢ ص ٥٣١ ، الخطط ، ج٢ ، ص٢٢٩.

(٦)المقريزى : السلوك ، ج٢ ق ٢ ص ٥٣٠

(٧)إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ مصر فى عصر الأيوبين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، ص ٤٢٧

البقر منها[١]

ولذا فالناصر محمد كان من أكثر الـسلاطين المماليـك اهتمامـاً وجلبـا للحيوانات والطيور ، واقتدى كثير من سلاطين المماليك به ، فيذكر أن الـسلطان الظاهر برقوق اهتم بالخيول اهتماماً عظيماً، وكان يجب اقتنائها هى والهجـن [٢] ويذكر أنه توفى عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل[٣]

كما اهتم سلاطين المماليك بالطيور وأولوها عناية خاصـة ، وبـالأخص طيور الصيد على اختلاف أنواعها ، فكان الناصر محمد حريـصا علـى جلـب الجوارح من الصقور ، والشواهين ، والسناقر ، والبزاة ، حتى الأمراء كان لـدى كل منهم على الأقل عشرة سناقر[٤] وترك الناصر محمد عند موته مائة وعـشرين سنقرا ، حيث لم يعهد مثل هذا لملك قبله بمصر ، حيث كان فى الأيام المنصورية سنقر واحد ، وترك من الصقور والشواهين مما لا ينحصر عدة[٥]

وكذلك اهتموا بالطيور الداجنة ، فقام الناصر محمد بتربية الأوز، وتـوفير الحظائر لهم، وإقامة عدد من الخدم والجوارى لخدمتهم [٦] واهـتم كـذلك بتربيـة

(١)محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر، دار الفكر العربى١٩٦٠م، ص٢٩٤

(٢)ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١٢ ، ص١٠٨

(٣)المقريزى : الخطط ، ج٢ ص ٢٢٥.

(٤)المقريزى : السلوك ، ج٢ ق ٢ ص ٥٣٠

الشاهين : هو طائر من جوارح الطير ، وهو من جنس الصقر (أنظر: المعجم الوجيز ، ص ٣٥٤) أما البزاه : البازى هو جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم تميل أجنحتها إلى الصقور ، وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول ، ومن أنواعها الباشق والبيدق وجمعه (بواز - بزاه) (أنظر : المعجم الوجيز ، ص ٤٩)

(٥)المقريزى : نفس المصدر ، جـ٢ ق ٢ ص ٥٣١

(٦)المقريزى : نفس المصدر ، والصفحة.

الحمام ، حيث كانت تبنى لهم أبراج مستديرة الشكل فيها قواديس فخارية لتجــذب إليها أعداداً كبيرة من الحمام(١)

وبلغ الحمام الرسائلى اهتماما كبيرا حيث كــان يقــوم بحمــل المكاتبــات ويعرف(بالهدى) وتنافس الناس على اقتنائه ولهجوا فى ذكره وبالغوا فى أثمانــه ، حتى بلغ ثمن الطائر منها سبعمائة أو ألف دينار ، وأفردوا له ديوانا خاصا وجرائد بأنساب الحمام (٢)

كما اهتم بعض السلاطين بطيور الزينــة ، للتمتــع بجمالهــا ومناظرهــا الساحرة، فالسلطان الغورى كان يعلق فى بستانه الذى أنشأه تحت القلعة أقفاص بها طيور للزينة ، ما بين هزارات(٣) ومطوق ، وبلابل وشحارير(٤) وقمارى(٥) وغيــر ذلك، وكان يطلق فى ذلك البستان بين الأشجار دجاجا حبــشيا ، وبطــا صــينياً، وحجلا(٦) حتى صار هذا البستان جنة على الأرض (٧)

ولم يكن الأمراء أقل شغفاً بالحيوانات والطيور من السلاطين المماليك، ففى عام ٧٤٢هــ /١٣٤١م وجد عند إبراهيم بن صابر مقدم دولة المماليك على تسعين

---

(١)إبراهيم عبد المنعم : جوانب من تاريخ مصر ، ص ٤٢٨

(٢)القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية ، ج١٤ ص ٢٣٤ .

(٣)الهزارات هو طائر مغرد (أنظر : المعجم الوجيز ، ص ٦٤٩)

(٤)شحرور: طائر غريد من فصيلة الشحروريات ورتبة الجواشم المشرومات المناقير ذكره أسود، وأنثاه أعلاه أسمر وصدرها إلى حمرة ، يصاد ويربى فى أقفاص لحسن صوته (أنظر: المعجم الوجيز ، ص ٣٣٧)

(٥)قمارى : ضرب من الحمام المطوق وحسن الصوت (أنظر : المعجم ص ٥١٥)

(٦)حجلا : طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم (أنظر : المعجم، ص١٣٧)

(٧)ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٤ ، ج٤ ص ١٧٢.

حجرة فى الجشار ، ومائة وعشرين بقرة فى الزراريب ، ومائتى كبش، وجــوقتين كلاب سلوقية ، وعده طيور جوارح مع بزدارية(١) ومما سبق يتضح لنا مدى عناية اهتمام سلاطين دولة المماليك بالحيوانات والطيور.

الأماكن المخصصة لتربية الحيوانات والطيور :

نظراً لاهتمام السلاطين بتربية الحيوانات والطيور ، كان لابد من تواجــد أماكن مخصصة لهم تلحق بالبيوت السلطانية ، وقد تنوعت هذه الأماكن مــا بــين إصطبلات ، وأحواش ، ومناخات وغيرها .

وكانت هذه الأماكن توفر بها ما يحتاجه الحيوان والطير من مأكل ومشرب ومراحات ، ووفر لها من العمال والخدم ما يلزم لنظافة تلك الأماكن ، وتقديم مــا يحتاجه الحيوان والطير من طعام وشراب ، كما كان لتلك الأمــاكن إدارة خاصــة يعمل بها عدد من الموظفين .

وفى مقدمة هذه الأماكن الاصطبلات السلطانية ، وهى عبارة عــن بنــاء مسقوف جيد التهوية ، ومتسع جداً برسم الخيول السلطانية وكــان مكانهــا داخــل أسوار القلعة ، وله حوش وباب يفتح ويغلق حسب الحاجة وعند الضرورة ، ولــه ثريا توقد بالمقعد المطل عليه(٢) ويوجد بالاصطبل حواصــل الخيــول والبغــال ، ومخازن الشعير والأقراط اليابسة المحمولة من البلاد (٣)

وانقسم الاصطبل السلطانى إلى أقسام عده هى (٤)

---

(١)المقريزى: السلوك ، ج٢ ق ٣ ص ٥٦٥

(٢)ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ص ٣٢ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس ، باريس ١٨٩٤م، ص ١٢٥

(٣)القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٤ ص ١٧٦ ، المقريزى : الخطط ، ج٢ ص ١١٢

(٤)جمال الغيطانى: ملامح القاهرة فى الفى عام ، كتاب الهلال ، القاهرة ١٩٨٣ن ص ٤٦-٤٧، على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٤٨م ، ص ١٦٧.

- الاصطبل الخاص: وبه الخيول الخاصة بالسلطان والتى تسير فى مواكبه الرسمية.
- اصطبل الحجورة : وبه الخيول الخاصة بالرياضات المختلفة ولعب الكرة.
- اصطبل الجوق : وبه خيول المماليك التابعة للسلطان.
- اصطبل البيمارستان : وبه الخيول الضعيفة.
- اصطبل الجشار: وبه الخيول المهرمة التى حان أجلها.
- اصطبل البريد : وبه خيول البريد حيث يعتبر الظاهر بيبرس وهو أول من نظم له البريد وخصص له خيل(١)
- اصطبل البغال ، والسباع، والفيلة وغيرها .

ويتبع هذا الاصطبل (المناخات) (٢) وهى من الأماكن المخصصة للجمال السلطانية ، ومنها مناخ الجمال البخاتى (٣) ومناخ الهجن والنياق (٤) وكان عددها يفوق ويقصر عن الحصر(٥) كما كانت هناك أحواشاً بعيدة عن الاصطبل السلطانى، ففى عام ٧٢٢هـ أمر الناصر محمد بعمل أحواشاً للخيل والجمال فى بركة الحجاج، فكان بها نحو الألف جمل، ومائة زوج من البقر، وأنشأ بها ميداناً لنتاج الخيل وكانت تربى بها الأغنام التى تعلف بحب القطن، فبلغت الغاية فى السمنة حتى عندما كان يدخل بها القاهرة كانت تحمل على العجل لعظم جثتها.وثقلها

---

(١)محمود رزق : عصر سلاطين ونتاجه العلمى والأدبى، مكتبة الآداب، ط١، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م ، ج١ص٢٧ (أنظر: ابن تغرى بردى : النجوم ، ص ١٤ ص ٥٠ هامش(٤)

(٢)ابن شاهين : زبده كشف المماليك ، ص ١٢٥.

(٣)البختى : هى الأبل الخراسانية ذات السنامين ، وهى ضخمة ، ووبرها أسود ويستعمل فى أسفار الشتاء (أنظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٤ ، ص ٥٠ هامش(٤)

(٤)النياق : هى الأنثى من الأبل (أنظر: المعجم الوجيز ، ص ٦٤٠)

(٥)القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص ١٧٦

وعجزها عن المشى ، ويقال له كبش بركاوى ، وقد وزن كبش من أكباش بركة الحجاج فبلغ وزنه خمس وسبعين رطلا سوى الآلية [١]

كما أقام الناصر محمد حوشاً بقلعة الجبل للأغنام ، وجعل لها خوله فصارى من الأسرة ، وبدأ العمل بهذا الحوش عام ٧٣٨هـ /١٣٣٦م ومساحته أربعة فدادين ، وأحضر إليه من الصعيد والوجه البحرى ألفى رأس غنم ، وكثيراً من الأبقار البلق ، فصار هذا الحوش مراح غنم ومرابط بقر ، وأجرى إليه الماء من القلعة[٢] وجعل بجانب هذا الحوش حظيرة للأوز [٣] وكان يحضر لها من البقل الأخضر الذى يشترى لفراخ الأوز فى كل يوم خمسين ألف درهما ، كما يذكر أن الناصر محمد بنى حظيرة بجوار قلعة الجبل وأجرى إليها الماء ، وأنشأ فيها بيوتا للدواجن ، وأخرى للأغنام والمواشى[٤]

كما كان هناك ميدان للمهارى بجوار قناطر السباع وزرع فيه النخيل ، ورتب فيه مكانا للحجورة – الأنثى من الخيل – للنتاج ، كما أنشأ بجوار جامع الأمير علاء الدين طيبرس زربية وحظيرة للغنم [٥].

وكان للطيور مطاعم خاصة من أشهرها مطعم الطير[٦] وكان هذا المكان

---

(١)المقريزى : الخطط ، ج٢ ص ١٦٤

(٢)المقريزى: نفس المصدر ، ج٢ ص ٣٧٢

(٣)المقريزى: السلوك ، ج٢ ث ٢ ص ٥١٣

(٤)جمال سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ٢٩٤

(٥)المقريزى : الخطط ، ج٢ ص ٣٠

(٦)مطعم الطير كان بقبة النصر خارج القاهرة، وقد حدده (ابن إياس) بأنه كان بالريدانية ، ويذكر (ابن تغرى بردى) أنه كان واقعا فى الشمال الشرقى لخانقاه السلطان برقوق المعروف بتربة برقوق (أنظر: بدائع الزهور ، ج٢ ص ١٧٦ ، النجوم ، ج٢ ص ٢٩ هامش ٥)

مخصصا لتربية طيور الصيد وحفظها[١] ، وكان موقعــة فريــدا يتوســط حــدود الصحراء والزراعات ، فكانت تكثر بها الحيوانات والطيور البرية الشاردة ، لــذلك حرص السلاطين المماليك على الذهاب للاستمتاع بتلك المنطقة ، ويكثــرون مــن الذهاب إليها فى بداية موسم الشتاء للصيد والرياضة والاســتجمام فــى ربوعهــا، فيتسلى السلطان برؤية ذلك المنظر[٢] وقد بنى الناصر محمد بها مصطبة [٣] ، كما كان موضع مطعم الطير يمثل البوابة الشمالية للقاهرة ، فكان السلاطين يــستقبلون ضيوفهم بها ، فيذكر أن برقوق استقبل السلطان أحمد بن أويس ســلطان العــراق وفارس فى ربيع الأول سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م وأجرى له مراسم استقبال رســمية بها[٤]

وقد تبع الاصطبلات السلطانية ما يسمى بالأهراء السلطانية ، وهى أماكن لتخزين الغلال والأتبان الخاصة للسلطان احتياطى لحدوث طوارئ اقتصادية تمــر بها البلاد[٥]

الوظائف المرتبطة بخدمة الحيوان والطير:

ارتبط بالاصطبلات السلطانية والمناخات والأحواش التابعة لها ومطــاعم الطيور والحظائر عدداً كبيراً من الوظائف المتعلقة بالإشراف على تلــك الأمــاكن المخصصة لتربية الحيوانات والطيور ، حيث جعل لها السلطان نظارة خاصة بهــا

---

(١)ابن شاهين : زبده كشف الممالك ، ص ١٢٦-١٢٧ هامش (٢)

(٢)ابن تغرى بردى: النجوم ، ج٩ ص ٢٩ ، حوادث الدهور ، ج٣ ص ٤١٦-٤٨٤.

(٣)ابن إياس: بدائع الزهور ، ج٤ ص ٢٦٤

(٤)ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ١٩٧٧م ،ص ٥٠٤-٥٠٥ ، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت ١٩٣٦-١٩٣٨م ، م٩ ج٢ص ٣٦٦ ، المقريزى : السلوك ج٢ص٨٠٠

(٥)ابن شاهين : زبده كشف الممالك ، ص ١٢٢-١٢٣.

تسمى (نظر الاصطبلات السلطانية) وهذه النظارة تهتم بالحديث فى أموال الاصطبلات والمناخات ، وعليقها وأرزاق من فيها من المستخدمين ، وما بها من الاستعمالات والإطلاق ، وكل ما يبتاع لها أو يبتاع بها ، وأول من استخدمت هذه النظارة هو السلطان الناصر محمد بن قلاوون [١]

أما بالنسبة للإشراف على الاصطبلات كانت تقع تحت إمرة ما يسمى (أمير آخور)[٢] ومهمته الإشراف التام على اصطبل السلطان أو الأمير حيث يتولى أمر من فيها من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل فى حكم الاصطبلات [٣] ويكون ساكناً بالإصطبل ، ورتبة أمير الآخور عادة تكون مقدم ألف ، ودونه ثلاثة من أمراء الطلخانات[٤]

ويتبع الأمير آخور عدة وظائف تقع تحت إمرته ، لكل منهم دور يؤديه فيما يختص بالقيام بخدمة الحيوانات التى بالإصطبلات السلطانية [٥] وهذه الوظائف هى:

(١)القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٤ ص ٣٢ ، المقريزى : الخطط، ج٢ص ٢٢٤-٢٦٥

(٢)أمير أخور: لفظ فارسى معناه الأسطبل ، والآخورجى هو المشرف على إطعام الحيوانات فى الحظيرة ، ودخلت هذه الألفاظ منذ العصر الأيوبى ثم استمرت فى العصر المملوكى ، وقد أضيف إليها فيما بعد مرتبة شاغلها ، وهو من كبار الأمراء ، فقيل أمير أخور ، ومعناها أمير العلف لأنه يتولى أمر الدواب وأهمها المعلف والعناية بالسروج والكنابيش والعربات الشريفة (انظر: القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٥ ص ٤٣٣ ، مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، بيروت ط١ ١٩٩٦ ، ص ٩،١٠)

(٣)القلقشندى : نفس المصدر ، ج٥ ص ٤٣٣ ، السبكى : معيد النعم ، ص ٣٧.

(٤)القلقشندى: نفس المصدر ، ج٤ ص ٢٩٨

(٥) ابن شاهين : زبده كشف الممالك ، ص ١٣٦

الجشاريـــة[١]

يهتم صاحب هذه الوظيفة بالخروج بالدواب إلى المراعى حيــث يبيتــون أماكنهم ، ولا يرجعون إلى أهليهم [٢] وكان السلطان المملوكى عندما يتفقد خيوله ، فإذا وجد فرسا مصابا أو كبر سنه بعثه إلى الجشار ، ويأمر بضبط تاريخ نزوله [٣]

الأوجاقية (الأوشاقية)

الأوجاقى كان يسمى (جفتاوات) ويكونون فى خدمة خيل الــسلطان التـــى كان لها قسم خاص من الاصطبل السلطانى يعرف بإصطبل الحجور ، وهى خاصة بلعب الكرة والرياضيات المختلفة[٤]

السراخورية :

مهمته التحدث عن الدواب من الخيل وغيرها ، وهذه الوظيفة مركبة مـــن لفظين فارسيين أحدهما(سرا)بمعنى الكبير،والثانية(خــور)بمعنـــى المعلف،ويكــون المعنى كبير المعلف،والمراد به كبير الجماعة الذين يتولون علــف الــدواب،وكان يطلق عليه (سراخورى) [٥]

السواس (سائس الدواب) :

ويشترط فى السائس أن يكون مربى بين الاسطاوات وله معرفـــة بـــآداب الجماعات وما يكون من تحية دخوله عليهم بالطريقة والأركان[٦] ولكـــل عـــشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالغلمان لأنهم هم الذين يستلمون من خزائن

(١)الجشار: هو مرح الخيل ، والجشر إخراج الدواب للرعى(أنظر: لسان العرب، ص ٦٢٦)

(٢)المقريزى: السلوك ، ج٣ ص ٣٠٤

(٣)المقريزى: نفس المصدر ، ج٢ ق٣ ص ٧١٤

(٤)على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، ص ١٦٧.

(٥)القلقشندى: نفس المصدر ، ج٥ ص ٤٦٠-٤٦١

(٦)نبيل محمد : الخيل ورياضتها، ص ١٢٢-١٢٣

السروج المركبات بالحلى ويعيدونها إليها[١] ولكل ثلاثة رؤوس من الدواب سائس ، ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها[٢]

الاسطاوات :

الأسطى يخرج من بين صفوف السواس[٣] ويجب عليه أن يكـــون عارفـــا بسياسة الخيل، وهى معرفة الأصيل منها والخسيس [٤]

البياطـــرة : (٥)

وهم الذين يتولون علاج الدواب إذا ألم بهم مرض أو داء ، ولهم خبرة فى طريقة إعطاء الدواء للدواب ، ولذا فإن البيطار[٦] فى مخطوطته (كامل الصناعتين)

(١)المقريزى : الخطط ، ج٢ ص ١١٢

(٢)القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص ١٧٦

(٣)السبكى : معيد النعم ، ص ١٤٤

(٤)الفتى قنبر: الخيل والأدوية وطريقة اسطواتهم وسياساتهم ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٤٢٢٠ طب خليل أغا ، ورقة ٦ ، ٧.

(٥)البيطرة: هو على يبحث فيه من أحوال الخيل من جهة ما يصلح ويمرض ويحفظ صحته ويزول مرضه، وهذا فى الخيل بمنزلة الطب فى الإنسان (أنظر: حاجى خليفة: كشف الظنون على أسامى الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين، بيروت، دار العلوم الحديثة، ج١ ص٢٦٥.

(٦)أنظر: كامل الصناعتين ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ورقة ٤،٥ ومن هذه الوصايا:

١- أن يحسنوا لمعلمهم ويحسنوا مكافآتهم ويشكروهم على تعليمهم بالإحسان إليهم .

٢- إذا استشهد أحدهم فى حديث حيوان شهد بالحق من غير مراءاة ولا طلب ذنبا ، فإذا ما رأى صاحب حيوان فقير وصف له ما يصلح له من غير أن يأخذ شيئا.

٣- أن يكون عارفا بفصول السنة والأدوية حتى لا يعطى للخيل دواء حار فى فصل حار ولا دواء بارد فى فصل بارد ولا يكحله بكحل حار فى الصيف.

٤- أن يكون عالما بصفات الجراحات وأشكالها عالماً بالأدوية التى يستعملها فى الأمراض وقواها وخراج الأمراض التى يستعمله.

٥- أن يكون عالما بمقدار الدم الذى يخرج من النواظر بسبب الاحتلاج وفاسد الدماغ والصداع والحمى.

المعروف (بالناصرى فى البيطرة والزرطقة) يذكر الكثير من الوصـــايا المتعلقـــة بالبياطرة.

كتاب الأصطبل :-

وظيفة كاتب الإصطبل أن يؤرخ أسماء الخيل وشياتها ، وأوقات ورودهـــا وأسماء أربابها ، ومبلغ أثمانها ، ومعرفة سواسها ، والحجـــرة التـــى ينـــزل بهـــا الخيل[١] وقد بلغ بعض كتاب الاصطبل منزلة عظيمة فى الدولة المملوكية مثل (ابن زنبور) فى عهد الناصر محمد حيث نال من مباشرة الاصطبل سعادة طائلة[٢]

ويتبع الإصطبلات السلطانية إدارة خاصة عرفت باسم (الركـــاب خانـــاه) ومعناها بيت الركاب ، وتشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم والكنـــابيش ، وغير ذلك من نفائس العدد والمراكيب والأجلال والمخالى وغير ذلك، وفيها مـــن السروج المغشاة بالذهب والفضة المطلية الساذجة ، والكنابين المتخذة من الـــذهب المزركش المزهرة بالريش وغير المزهرة، حتى أنها كانت تحتوى على ما يكفـــى لتجهيز ثلاثة آلاف فرس بشكل كامل ، وبها العبى المنسوخة من الحرير وصـــوف السهك ، وغير ذلك من نفائس العدد ما يحير العقول ويدهش البصر مما لا يقـــدر عليه إلا عظماء الملوك ، ولها (مهتار) متسلم لحواصلها يسمى (مهتـــار الركـــاب خاناه) [٣] وتحت يده رجـــال لمعاونتـــه هـــم الركابداريـــة ، والـــسنجق داريـــة ، والمهمزدارية والغلمان [٤]

---

(١)المقريزى: السلوك ، ج٢ ق٣ ص ٧١٤ ، الخطط ، ج٢ ص ٢٢٥.

(٢)المقريزى: السلوك ، ج٢ ق٣ ص ٨٨١

(٣)القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٤ ص ٢٨٧

(٤)إبراهيم طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣١١

فـوظيفة الركابدارية [1]

هى تأديب المهارة وركوبها ، وأول ما يجب عليه أن يكون الركاب عليه أن يكون عارفا حاذقا يصير إليه طبيعة الدواب من اللين والخشونة ، والذل والصعوبة ، والخفة وقوة النفس ، ومها بتها والحركة والسكون فى المواضع التى تنفع وتضر، والزيادة والنقصان ، وكل دابة وما يصلح لها من الفنون ، وما يحتاج إليه الفارس والملك وصاحب السفر والتاجر. وصاحب الحوائج ، وما يحتاج إليه المدينة والأزقة ، ويدربه على الرجول فى الأزقة والأسواق وبين الحمامات ، ويعوده على الدخول فى البحر ومجارى الماء، والوقوف عند الطبلخانات ، ونظر الأشياء المهولة كالفيل والأسد والزراف والإبل ، ولا ينبغى فى كل وقت ضربه بالسوط ، ويحكم الراكب له ركوبه عليه بثباب رجليه فى الركاب ، وإلزام فخذيه السرج، وإمساك الفناق ومده من جميع النواحى بأنواع المد والمسك والشدة واللين فى جميع الحركات على ظهره ، فإن الراكب إن يحتاج أن يميل أن يميل يمنه ويسرة أو إلى ما بين يديه أو خلفه ، ويذكر أن أفضل الأوقات التى يركب فيها للتأديب سحراً فى إقبال النهار وفى آخر الليل[2]

أمـا السنجق دارية ، فهو الذى يحمل الراية خلف السلطان أو الأمير ، وهذا اللقب مكون من لفظين هما (دار) بمعنى ممسك ، والسنجق بمعنى الرمح أو اللواء أو العلم[3]

---

(١)الركبدارية : يحملون الغاشية بين يد ى السلطان فى المواكب الحافلة ، والغاشية هى سرج من أديم مخزوزه بالذهب (أنظر: القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص ٧،١٢)

(٢) أنظر بالتفصيل عن ذلك الموضوع عند ابن البيطار فى مخطوطته كامل الصناعتين.

(٣)محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ١٤١٠هـ /١٩٩٠، ص ٩٣.

والهمزدارية: ووظيفته ربما تنقسم إلى قسمين الأولى الاهتمام بالآلة الحديدية التـــى تكون فى رجل الفرس وهى محددة الرأس ، والوظيفة الأخرى هو الـــذى يحفــظ قماش الموظفين العاملين بالإصطبل ، ومعناه بالفارسية الرجل الكبير(١)

أمـــا الغلمان: منهم الخدام الذين يتصدون لخدمة الخيـــل ، وبقـــصد بـــه الـــصبى الصغير المملوك ، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم ، وكأنهم سموه بـــذلك لصغره فى النفوس(٢)

أما بالنسبة للوظائف المتعلقة بالإشراف على الطيور ، فإن المشرف علـــى مطاعم الطيور وحظائرها يسمى (أمير شكار) وهذا المشرف يتحدث عن الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها على سائر أمور الصيد (٣) ويتحدث عن سائر الطيور وأحواشها ، ورتبة هذا الأمير أمير عشرة ،وأحيانا تكون رتبته من أمراء المئتين ثم صار يختار من أمراء الطبلخاناة(٤) والأمير شكار هو الأمير المعتنى بأمور الصيد فكان إذا خرج السلطان للصيد تصحبه جماعة خاصة على رأســـها هـــذا الأميـــر للإشراف على الجوارح السلطانية والعناية بأمرها فضلا عن مباشرة أمور الصيد ، ويتبع الأمير شكار عدة من الموظفين المكلفين لخدمة الطيور، ومن هذه الوظائف .

البازدارية (البـــازدارة) :

وهم الذين يحملون الجوارح المعدة للصيد ، ويرأســـهم البـــازدار، وكـــان البازداريون يتصدرون المواكب حاملين بأيديهم صقوراً تنقض كالصواعق على كل

---

(١)محمد أحمد دهمان : نفس المصدر ، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢)القلقشندى : صبح الأعشى، ج٥ ص ٤٧١.

(٣)القلقشندى : نفس المصدر ، ج٤ ، ص٢٢ ، السبكى : معيد النعم ، ص ٣٧

(٤)ابن تغرى بردى: النجوم ، ج٤، ص ٨١٦

صيد ثمين تراه أمامها بمخالبها الحادة ، وتنسب هذه الطائفة إلى الباز وهو من أهم الطيور الضارية التى كان العرب يستخدمونها فى صيدهم [١]

الجواندارية :

مفرد هذا اللفظ (جواندار) وتعنى حيوان دار، وهو المكلف بخدمة طيـور الصيد من الكراكى والبلشونات ، وحملها إلى موضع تعليم الطيور والجوارح[٢]

الكلابزية :

وهو الشخص الذى يركب بكلاب الصيد عند السلطان [٣] وكـان عـدد الكلابزية كثير جداً حتى أصبحوا طوائف متعددة ، وبلغوا فى عهد الناصر محمـد ثمانين جوقة كلاب للصيد[٤]

حارس الطير (كاشف الطير) :-

مهمته الإشراف على أماكن نزول الطيور المزمع صيدها ومراقبـة تلـك الطيور حتى تستقر فى مكان تألفه ، ويحظر على الناس القرب منها أو التعـرض لها، وكان صاحب هذه الوظيفة يختار من بين أمراء العشرات[٥]

الطعمدارية :

وهم الذين يقومون بتقديم الطعام المناسب لكل طيـر الأسـواق المرتبطـة بالحيوان والطير.

---

(١)القلقشندى : صبح الأعشى، ج٤ ص٤٦٩

(٢)القلقشندى : نفس المصدر، ج٤ص ٤٧٠ هامش (٢)

(٣)المقريزى: السلوك ، ج٢ ص ٢٢٥ هامش (١)

(٤)المقريزى: السلوك ، ج٢ ص ٥٣١

(٥)القلقشندى : نفس المصدر ، ج٤ ص ٣٠٤

الأسواق المرتبطة بالحيوان والطير :

ارتبط بالحيوان والطير فى العصر المملوكى عدة أسواق تباع فيها الحيوانات والطيور وما يستلزم كل منها ، ومن أهم هذه الأسواق (سوق الخيل) ، وكان هذا السوق يقع تحت قلعة الجبل ويطل على الإصطبل (١) وكان لهذا السوق دلالين ، ومما يؤكد ذلك أن فى عام (٦٦هـ/١٢٦٣م) قام الأمير بهاء الدين أمير آخور بضرب بعض دلالى سوق الخيل لكثرة تعسفهم (٢) وفى سوق الخيل كانت تنتقى الخيول بواسطة ذوى الخبرة من الفاحصين الذين كانوا يطلبون التحديق لاختيارها وفحصها، وكان للتفرس قواعد تراعى عند الاختيار فلابد أن ينظر إلى الفرس فى جميع حالاته خاصة عند الجرى ، والفرس الجيد يعرف من شدة نفسه، وحدة نظره ، وصغر كعبيه ، ورقة جحافله ، وقصر ساقيه ، وقلة التوائه ، ولين التفاته ، وإذا قيس ما بين آثار قوائمه وقت جريه كانت المسافة ست أذرع يكون الفرس سباقا ،وإذا كانت المسافة أربعة أذرع أو ثلاثة فهو بطئ ، كما يجب أن يكون صهيله صافيا فإن ذلك دليل على صحة الرئتين ، وكذا علامات أخرى عديدة كان المتفرسون يعرفونها(٣) وارتبط بسوق الخيل أسواق أخرى مكملة من أشهرها سوق المهامزين كان وهذا معدا لبيع المهاميز، وكانت تصنع من الفضة أو الذهب الخالص ، ولا يترك ذلك إلا من متورع أو متدين ، وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التى كانت برسم لجم الخيل ، وكانت تصنع تارة من الفضة المجراه بالمينا ، وتارة بالفضة المطلية بالذهب، ويبلغ وزنها فى البدلة خمسمائة درهم فضة ، ويباع

(١)المقريزى:السلوك ، ج٣ ص ٣٨٦ ، ويذكر أن سوق الخيل هو الرميلة ويطابق حاليا القضاء الواقع أمام مسجد السلطان وجامع المحمودية والقلعة ومبنى شرطة الخليفة .(أنظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٤ص ٢١٢هامش (١).

(٢)المقريزى:السلوك ، ج١ ص ٥٠١

(٣)لطفى نصار: وسائل الترفيه ، ص ٢٦٢

بها أيضا سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية وتجعل تحت لجم الحجــور مــن الخيل خاصة ، فيركب بها الأعيان وأكابر الكتاب ، ورؤساء التجار ، وكان تجــار هذا السوق من بياض العامة(١)

كما كان هناك سوقا يسمى (سوق اللجميين) ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يصنع من الجلد ، وبه عدة صناع من الطلائين ، وصناع الكفت برسم اللجــم والركب والمهاميز ، ومن صناع مياتر السروج وقرابيسها (٢) وكانت هذه السروج تلون ما بين الأصفر والأزرق ومنها ما يعمل من الدبل ، ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغارى الأسود ، وكان القضاة ومشايخ العلم يركبون هذه السروج الــسوداء اقتداء بعادة بنى العباس ، أما السروج التى للأجناد والكتاب تعمــل للــسرج فــى قربوسة ستة أطواق من الفضة مقبلة مطلية بالذهب ومعقربات من فضة ، وكثــر ذلك فى عهد السلطان برقوق ، وكان لا يكاد أحد يركب فرسا بسرج ساذج إلا من كان من القضاة ومشايخ العلم وأهل الورع(٣)

كما كان يوجد أسواقا للجوخيين ، وهو معد لبيع الجوخ المجلوب ، من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها (٤)

وتذكر المصادر وجود سوق للجماليين ، وكان بالقرب من جامع الحاكم (٥) كما كان هناك سوقا للغنم وكان له شاد(٦)

(١)المقريزى: الخطط ، ج٣ ص ١٥٨

(٢)القربوس هو : الجزء المرتفع المقوس من السرج (أنظر : المعجم الوجيز ، ص ٤٩٥)

(٣)المقريزى:الخطط ، ج٣ ص ١٥٩ ، قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسى والاجتماعى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، ط١ ١٩٩٨ ، ص ٢٢٥ ، جمال سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤)المقريزى:الخطط ، ج٣ ص ١٥٩ هامش (٣)

(٥)سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ٣٢٤

(٦)المقريزى : السلوك ، ج٢ ص ٣٨١

أما ما يخص الطير ، فكان لها سوقا يسمى (سوق الدجاجين) وكان يباع به الدجاج والأوز ، وكان به حوانيت لبيع العصافير حيث كـان يـشتريها الولـدان ليعتقوها، ويباع بها أيضا أنواع مختلفة من طيور الزينة ، وكان يوم الجمعة هـو اليوم الرئيسى لبيع أصناف مختلفة منها مثل القمـارى والهـزارات والـشحارير والببغاء والسمان ، وكان السمان يبلغ ثمن المئات من الدراهم ، وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها الآلف درهم لتنافس الناس عليها ، وتوفر عدة المعتنيـين بها وكان يقال لهم (غواه طيور المسموع) (١)

الرياضات المرتبطة بالحيوان والطير :-

مما لاشك فيه أن هناك رياضات عدة ارتبطـت بالحيوانـات والطيـور ، ومثلت جزاء هاما فى حياة المماليك الترفيهية ، خاصة وأن الرياضة مثلت جانبـا مهما فى حياة السلاطين والأمراء ، وكانوا يمارسونها فـى الطبـاق – المـدارس الحربية – وأصبحت الرياضة وسيلة هامة من وسائل التسلية فى حياتهم ، وأخذت أشكالا متعددة منها ما هو آتى :

الفروسيـة :

من أهم الرياضات التى ارتبطت بالخيل هى رياضة الفروسية ، وكانت من الرياضات الهامة التى لا يمكن لمملوك أن يتجاهلها أو لا يمارسها وساعد على ذلك تلك النشأة العسكرية للمماليك ، وكانت الفروسية من الرياضات المميزة لهم ، تعتمد هذه الرياضة على الفارس والفرس ، فقد شغف المماليك بالخيل ، وبذلوا الكثير من الأموال فى جلب الخيول الأصلية ، وتوفير الاصطبلات الخاصة بها ، وقد بلغ من عناية السلاطين بهذه الخيول أنهم منعوا غير العسكريين من ركوبها واستخدامها(٢)

---

(١)المقريزى:الخطط ، ج٣ ص ١٥٦ ، قاسم عبده قاسم ، عصر سلاطين المماليك ص ٢٢٣.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ١ ص ٤١ .

فيذكر أنه فى ذى القعدة عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٩م فى عهد المنصور حاجى نودى بالقاهرة ومصر أن أحداً من المتعممين لا يركب فرسا سوى الوزير وكاتب السر وناظر الخاص ، والباقى يركبون بغالا ، وأن الطحانين لا يترك عندهم فرسا صحيحا سالما ، ولا يركب الخيل أيضا فقيه ولا جندار ولا أحد من العوام(١) .

وتعليم الفروسية شملت أنواع أخرى من الرياضات المرتبطة بها مثل المهارة فى ركوب الخيل ، واللعب بالرمح ، والضرب بالسيف، وسوق البرجاس والمحمل ، ولعب الصولجان ، واستعمال الدبوس ، والمران على المصارعة ، وسباق الخيل ، ويتم تعليم المملوك هذه الرياضات على أيدى معلمين متخصصين(٢) وهناك إشارات متعددة إلى هؤلاء المعلمين الذين كان يطلق عليهم لفظ (معلم) أو (أستاذ) أو (رأس) ومن هؤلاء الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله الظاهرى الأمير آخور المعروف بسودون طاز (ت ٨٠٥هـ/١٤٠٣م) كان رأسا فى لعب الرمح أستاذ فى فن الفروسية كان يضرب بقوة طعنة وشدة ثباته على فرسه المثل ، وأما سرعة حركته وحسن تسريحه لفرسه فى ميادين العب بالرمح ، وأخذ عنه فن الرمح الأمير آقبغا التمرازى ، والأمير كزل السودونى المعلم ، والأمير قجق المعلم رأس نوبة وغيرهم(٣) ، كذا الأمير قرقماش المحمدى الظاهرى المعروف بالمعلم ، وكان أحد أمراء العشرات وكان عارفا بفنون الرمح علامة فى ذلك(٤) .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ص ٩١٤ .

(٢) ابن حجر : أنباء العمر بأنباء العمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ، جـ٣ ص ٣٤ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٤ ص ١٦٥.

(٤) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار الحياة ، لبنان (د . ت) ، جـ ٣ ص٢٨٠.

الرمايـــة والرماحـــة :-

ومن الألعاب المتصلة بالفروسية لعبة الرماية والرمح وغيره ، فقــد كـــان السلطان الظاهر بيبرس ماهراً فى رمى السهام حتى إنه عام ٦٦٦هــــ / ١٢٦٩م احتفل برمى النشاب ولعب الرمح ، ونزل إلى المصطبة ، فكان يرمى ويحـــرص على الرمى والنضال فما بقى أمير ولا مملوك إلا وقد شغله هذا ، وأقبل الناس على الرمح ورمى النشاب(١) وكان بيبرس يقوم بعمل النشاب بنفـــسه ، ويقـــوم بنحتهـــا وريشها وفصلها ، واقتدى به الأمراء والخواص(٢) .

أما الملك المنصور حسام لاجين كان موصوفا بالفروسية " مقـــدما علـــى أقرانه فيها وفى أعمالها ، وكان يلعب بالرمح ، ويرمى بالنشاب فى غاية الإتقـــان "(٣) وكان ممن برع فى الفروسية أيضا أنص بين الملك العادل كتبغا حتـــى صـــار أوحد عصره فيه ،"ويقال أنه رمى على قوس زنه مائة وثمانين رطلا" (٤) ومهـــر السلطان الظاهر برقوق فى الفروسية وخاصة فى رياضة رمى الرمح ، ففى ربيع الأول عام ٧٨٠ هــ / ١٣٧٨م بدأ اللعب بالرمح وألزم المماليك بذلك .وفى ربيـــع الآخر من نفس العام لعب مع بعض مماليكه الجلبان فأشيع أن السلطان أثناء لعبـــه مع مماليكه أصيب فى جفن عينه الأعلى .

أما السلطان المؤيد شيخ كان أحسن الرماة ، وإن ذكر الرماحين فهو أحملهم

---

(١) المقريزى : السلوك ، جــ ١ ص ٥١٨ .

Stanley Lane – Poole, A History of Egypt in the Middle Age P. 250 – 252.

(٢) ابن تغى بردى : النجوم ، جــ ٧ ص ١٦٤ .

(٣) العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٤١٠هــ / ١٩٩٠م ، جــ ٣ ص ٤٣٢ .

(٤) المقريزى : السلوك ، جــ ١ ص ٩٤٧ .

وإن ذكر السيافين فهو أقواهم وأعدلهم[١] ، وكان المؤيد شيخ يشجع على لعب الرمح ، ففى عام ٨٢٣هـ / ١٤٢١م نزل السلطان من القلعة إلى الميدان لعرض المماليك الرماحية ، فتوجه إليهم وجلس ، ولعبت المماليك بالرمح بين يديه مخاصمة ، ولعب حتى المعلمين فجعل لكل معلم خصما مثله ، ولعبا بين يديه فوقع بين الرماحة أمور ومخاصمات وأبدوا منها غرائب فى فنونهم " كل ذلك لمعرفة الملك بهذا الشأن ومحبته لأرباب الكمالات فى كل فن ، ولما انتهوا أنعم عليهم" [٢].

أما الملك الظاهر أبو سعيد تمريغا فقد حذق فى صناعة القسى الفائقة بيده وعمل السهام ، وكان يرمى بها أحسن رمى مع الفروسية التامة ، "وانتهى إليه رئاسة الرمى فى زمانه وله اليد الطولى فى فن الرمح وتعليمه ، وفن اللجام والمهمازة "[٣] وكان الأشرف قايتباى يحرص على تعليم الفروسية لفئات كثيرة من شعبه وليس المماليك فقط ، ففى عام ٨٧٣ هـ / ١٤٦٩م أوقف صرف الجوامك التى كانت توزع على الناس وجماعة من الفقهاء والمتعممين وأحضر إليهم بقوس ثقيل ومع نشابه طومار وامتحن هؤلاء فكان من لا يقدر بسحب ذلك القوس يقطع جامكيته[٤] وقد حضر ابن تغرى بردى هذه الامتحانات ، ففى صفر ٨٧٧ هـ / ١٤٧٣م عرض السلطان أولاد الناس ، وأمرهم بلعب الرمح بين يديه حتى يمتحنهم فى ذلك، فحصل للناس غاية من المشقة لأجل ذلك ، ووبخ منهم جماعة بالكلام[٥].

---

(١) العينى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٣٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٤ ص ١٠١ .

(٣) ابن تغرى بردى : نفس المصدر ، جـ ١٦ ص ٣٧٤ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ٢٠ .

(٥) ابن إياس : نفس المصدر ، جـ ٣ ص ٧٥ .

وفى عهد السلطان قانصوه الغورى أصبح لألعاب الفروسية شأن كبير بكل أنواعها فقد تكرر عرض الرماحة[١] أمام السلطان فى مواضع متعددة وبحـــضور قصادة ، وكأنه كان بذلك يستعرض قوة فرسانه ويظهر عظمـــة ملكـــة ، وكـــان السلطان ينعم على فرسانه بالمال والخلع ، فيذكر ابن إيـــاس ذلـــك فـــى حـــوادث ٩٠٩هـــ / ١٥٠٤م حيث خرجت الرماحة المعينون للعب الـــرمح ، فلعبـــوا عنـــد زاوية الشيخ أبى العباس " وجلس السلطان فى المقعد الذى أنـــشأه فـــى الميـــدان ، ورسم للرماحة بأن يسوقوا أمامه فى الميدان ، فساقوا وهو جالس وحوله الأمراء ، فلما ساقوا عيبت عليهم المماليك القرافصة ،وخطأوهم فى طريقة لعب الرمح عمـــا كان يفعله الأقدمون"[٢] وكان الغورى كثير الاهتمام بالرماحة وانفق عليهم بـــسخاء وبنى لهم مبان خاصة بهم بميدان القلعة ، حيث كانوا يقومون بتدريباتهم بها وكثيرا ما استخدمهم فى مناسبات كثيرة ولاسيما عند وجود ضيوف أو ســـفراء فيقومـــون بألعابهم على سبيل التسلية[٣] .

وقد ارتبطت ألعاب الفروسية ببعض المناسبات والمواكب ، حيث يلعب فيها تلك الألعاب منها دوران المحمل – خروج المحمل بالكسوة الشريفة وكسوه مقـــام إبراهيم عليه السلام لتحيته والحفاوة به ولإعلان الناس بقرب موسم الحـــج ، وأول من أحدث تلك الألعاب فى المحمل وكسوة الكعبة هو الظـــاهر بيبـــرس[٤] وأقـــام السلاطين المماليك لهذه الألعاب ميادين فسيحة لتكون بمثابة ملاعب كبرى يمارس

(١) الرماحة: فئة من الجند يبلغون أربعين يلبسون ملابس حمراء ويقومون بألعاب الفروسية بالرمح على خيولهم وكان لها معلمون. (أنظر: ابن تقرى بردى : النجوم ، جـــ ١٤ ص ٨٦).

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـــ ٤ ص ٤٦ ، ٦٠ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٤٥ .

(٣) محمود رزق سليم : الأشرف قانصوه الغورى ، ص ١٨٢ .

(٤) محمد الشثتاوى: متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى ، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤١٩هـــ /١٩٩٩م ص ٣٠٢ .

فيها رياضتهم المفضلة ، فأقام بيبرس عام ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م ميدانا خارج باب النصر سمى بالميدان الأسود أو الأخضر[١] وأنشأ الناصر محمد ميدانا بسرجة سرياقوس[٢] واستحدث المؤيد شيخ بالقلعة مكانا لرمى النشاب وعرف بمرمى النشاب[٣].

لعبة القبق[٤]:

ارتبطت هذه اللعبة بالخيل ، حيث يشترط فى الفارس الذى يلعب تلك اللعبة التنقيل والسوق ، وهو سوق الفرس قليلا ، أو الجرى الشديد والرمى أثناء الجريان والجولان لاسيما عند اشتداد جرى الفرس إلى أخر الشوط بالميدان[٥] .

ويشترط فى لاعب القبق أن يتخذ فرسا مدربا ، وأن يعوده الرامى على دخول القبق قبل الرمى فيروضه على الجرى والدخول نحو الخشبة والعلامة مرات حتى يرى الفرس ذلك ويعرفه ، وكان الظاهر بيبرس يلعب القبق فى ميدان العيد (الأسود) تحت القلعة ، وكان ينعم على مماليكه الذين أصابوا القبق بفرس من

(١) المقريزى: الخطط جـ ١ ص ٥٧٣، عاشور: الظاهر بيبرس،الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١م ص١٩٣ .

(٢) عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٤ ص ١١٢ .

(٤) لعبة القبق : تفصيل هذه اللعبة أن تنصب خشبه عالية فى ميدان اللعب ويعمل بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمى بالسهام جوف الدائرة لكى تمر داخلها إلى هدف معين ، وذلك تمرينا لهم على إحكام الرمى ، وأحيانا يكون بدل من الدائرة شكل قرعة عسليه من فضه أو ذهب ، ويكون فى القرعة طير حمام ثم يأتى اللاعبون للمباراة فى الرمى بالنشاب أو السهام من على ظهور الخيل ومن أصاب القرعة أو اطار الحمام حاز السبق وأخذ القرعة المعدنية نفسها (انظر : السلوك ، جـ ١ ، ص ٥١٨ حاشية "٦") .

(٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ص ٥٢٩ .

الجنائب الخاص بسرجه ولجامه وتشاهيرة بالمروات الفضة[١] ، وكذلك كان الشرف قانصوه الغورى يشجع تلك اللعبة ويقبل عليها[٢] وكثيرا ما تنتهى أمر لعبة القبق إلى الطعان بالرمح أو الدبابيس أو السيوف فينقسم اللاعبون إلى فريقين عقب لعبة القبق ويأخذون فى المبارزة والطعان فلا يرى الناس إلا سيوفا تبرق[٣].

لعبة الكرة[٤] :

من الألعاب المرتبطة بالفروسية ، وقد شغف بها السلاطين أو الأمراء ووضعوا لها نظاما خاصا ، وحددوا أوقات لها وحفلات تلعب فيها، ولذا أعد سلاطين المماليك لهذه اللعبة ما يلزمها من خيول خاصة وأدوات وخصصوا لها موظفين من المماليك يشرفون عليها يسمى الواحد منهم جوكندار أى الذى يحمل الجو كان ، وهى عصا مدهونة طولها أربعة أذرع ورأسها خشبية مخروطة محدود به تنيف على نصف ذراع[٥] ، كما حرص المماليك على إنشاء ميادين خاصة للعبة مثل الميدان الظاهرى الذى أنشأه الظاهر بيبرس بطرف أرض اللوق[٦] ، ومازال ملعبا للكرة لمن أتى بعده من ملوك مصر ، والميدان الناصرى الذى أنشأه الناصر

---

(١) محمد جمال الدين سرور: دولة الظاهر بيبرس فى مصر، دار الفكر العربى ١٩٦٠م، ص ٦٤٠.

(٢) محمود رزق سليم : الأشرف قانصوه الغورى ، ص ١٨٢ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، جـ ١٣ ص ١ .

(٤) مضمون لعبة الكرة ، عبارة عن كرة كبيرة من مادة خفيفة كالفلين تلقى على الأرض ويتسابق الفرسان من على خيولهم راكبين فى التقاطها بالصولجان أو الجو كان ، فمن سبق منهم إلى إصابتها وإرسالها فى الهواء كانت له الغلبة وكانت تلعب فى ميادين فسيحة مصممة بخطوط بيضاء (انظر **Tafur : Trvels, P. 80**) .

(٥) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ٤٤٤ هامش (١)

(٦) عاشور : الظاهر بيبرس ، ص١٩٤ .

محمد فى أرض بستان الخشاب ، وكان يركب دائما إليه أيام السبت ، وميدان القلعة[١] وغيرها من الميادين .

سباق الخيل والهجن :

ارتبطت رياضة سباق الخيل بالخيول أيضا ، وكانت لتلك الرياضة شأن عظيم حيث أقام السلاطين والأمراء مسابقات من الخيول والهجن فى الأماكن الفسيحة الواسعة مثل بركة الحجاج أو بركة الحبش أو ميدان القبق[٢] ، فقد كان الظاهر بيبرس يأمر عساكره بالركوب إلى الميدان الأسود وهم فى أحسن زى للتريض على ظهر الخيل حيث يزدحم الناس للفرجة عليهم على مدى خمسة أيام ، كما كان الناصر محمد يرسل إلى آل مهنا من العربان ليحضروا بالخيل السبق ثم يركب إلى ميدان القبق ويرسل الخيل وعدتها ما ينيف عن مائة وخمسين فرسا، وقد بعث مهنا مع ولديه حجرة شهباء على إنها إن سبقت كانت للسلطان وأن سبقت ردت عليه بشرط لا يركبها للسباق[٣] .

وأثر عن السلطان برقوق أنه عرض فى سنه ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩م خيل السباق ، وفرقها على الأمراء كما كانت العادة[٤] كما ذكرت المصادر أن المؤيد شيخ بعد أن شفى من مرضه ركب فرسه ومعه الأمراء والمماليك فى شعبان ٨٢٢ هـ / ١٤١٩م ووقف بهم تحت قبة النصر ، وقد بعث أربعين فرسا إلى بركة الحاج ، فأجريت فى ضحى النهار وكان ذلك بغرض الفرجة على سباق الخيل فحصل له برؤيتها النشاط[٥] كما كان يميل المؤيد شيخ إلى سباق الهجن حيث ركب

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٢٢٨ .
(٢) ابن حجر : أنباء الغمر ، جـ ٢ ص ٢٥٨ .
(٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ص ٥٢٩ .
(٤) ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٤ ص ٨٨ .

فى نفس الشهر إلى بركة الحبش وساق الهجن ، ونظر عليق الجمال واستكثره ، فرسم أن يصرف نصف عليق لكل جمل[١] .

واتضح مما سبق أن رياضة الفروسية وما يتبعها من رياضات لم تكن مجرد رياضة تمارس بغرض الترفيه بل كانت رياضات تدريبية مهمة تؤهل صاحبها ليكون فارسا عظيما يعتمد عليه فى الحروب ، والملاحظ أن هذه الرياضات لم تكن لعبة شعبية إلا أن كثيرا من طبقات الشعب قد استمتعوا بمشاهدتها وأحيانا بالمشاركة فيها لأنها كانت خاصة بسلاطين المماليك وأمراءهم والأجناد ، وذلك لامتلاكهم تلك الخيول المدربة على هذه الرياضات .

الصيد :

وارتبطت بالطيور رياضة الصيد والقنص ، فكانوا يتدربون على أساليب الصيد منذ حداثة سنهم ، كما كانوا ينظرون للصيد على إنها رياضة سامية تسمو بالنفس وتهذب الخلق ، وكانت سرحات الصيد موعدها الربيع عادة، وعندما يخرج السلطان للصيد كان بصحبته عدد كبير من الأمراء والمماليك ، وكل من تدعو الحاجة إليها من أطباء وكحالين وأدوية وخيام[٢].

ويبدأ الصيد بإطلاق الطير فى الهواء ثم يرمى لها الحب لتهبط إليه فى حين يضرب الأمراء حولها حلقة وهى لاهية فى التقاط الحب فيفزعونها بضرب الطبول ، والسلطان والأمراء يترقبون صيدها[٣] ،وبعد أن يأخذ السلطان حظه من الطير المصطاد يتحول إلى اقتناص الوحوش ، فتعد الخيل وتضرب العساكر حلقة كبيرة واسعة تطلق داخلها النعامات والظباء وبقر الوحش وغير ذلك ، وعندئذ

(١) نفس المصدر والمكان .

(٢) عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ١٩٣ .

(٣) المقريزى : الخطوط ، جـ ٣ ص ٣٢٥ .

يطاردها السلطان والأمراء بمساعدة الجوارح الصائدة[١] وكان بيبرس مــن أكثــر السلاطين اهتماما بالصيد ، ففى عام ٦٦١ هـ / ١٢٦٣م سار السلطان من قلعــة الجبل إلى بلاد الشام واستمر فى الصيد إلى أن دخل غزة وفى العريش ضرب حلقة بثلاثة آلاف فرس فوقع فيها صيد كثير جدا[٢] وفى المحــرم ٦٦٥هـــ / ١٢٦٧م خرج السلطان بيبرس من دمشق بعساكره إلى مصر وسار إلى الكــرك ، ونــزل ببركه زيراء وركب يتصيد[٣] .

وكان السلطان الشرف خليل مولعا بالصيد ، ففى جمادى الأخرى ٦٩١هـ/ ١٢٩٣م سار من مصر إلى الشام ووصل إلى حماه فتوجه إلى البرية وصاد هناك شيئا كثيرا من الغزلان وحمير الوحش ويذكر أن السلطان كان يصطاد بالفهود[٤] .

وكذلك أعتاد الناصر محمد الخروج للصيد فى مواضع عدة ، حتى إنه لــم يدع أرضا تعرف بصيد الجوارح إلا أقام بها صيادين يقيمــون فــى البريــة أوان الصيد، وكان يفضل الخروج للصيد بصحبة قاصدين من الخارج ، ففى المحرم عام ٧٠١ هـ / ١٣٠٣م رسم لجميع الأمراء والمقدمين بالخروج إلــى الــصيد نحــو العباسية ثم تقدم الدهليز إلى الصالحيه ثم إلى البرية للصيد[٥] وفى عام ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م خرج إلى البحيرة[٦] وتوجه بعد ذلك إلى الجيزة[٧] وفى عام ٧٣٠هـــ /

---

(١) ابن حجر : أنباء الغمر ، جـ ٢ ص ٢٥٨ .
(٢) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ٤٨٠ – ٤٨١ .
(٣) المقريزى : نفس المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٥٥ .
(٤) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، تحقيق عبد الرازق الطنطاوى ، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م جـ ٣ ص ١١٢ .
(٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ص ٥٣٠ .
(٦) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٦٤ .
(٧) نفس المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٦٩ .

١٣٢٩م توجه إلى قليوب للصيد[١] .

أما المنصور لاجين كان يتغيب كثيرا فى الصيد تصل إلى الشهرين مصطحبا معه بعض أرباب الملاهى[٢] ، وكان برقوق مولعا بالصيد ، فقد كان يصطاد فى مواضع متعددة ، ففى المحرم ٧٨٥هـ / ١٣٨٤م ركب حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة من أجل صيد الكراكى ، ويذكر أنه خرج للصيد سبع مرات . فى شهر صفر عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٥م[٣] ولم يكن السلطان الناصر فرج بن برقوق أقل من أبيه حبا للصيد ، فمارس الصيد هو وأمراؤه فى جهات متعددة من البلاد ، وكان يركب إلى الصيد بناحية بهتيب – ضواحى القاهرة – كما كان يعود من الصيد ويشق القاهرة وعليه ثياب جلوسه وهو ما لم يحدث من ملك قبله، ومن السلاطين الذين عرفوا بولعهم الشديد للصيد المؤيد شيخ ، فقد كان يصطاد فى بر الجيزة وغيرها من الجهات مثل سرياقوس ، وبركة الحاج ، وأوسيم كما كان حريصا على الذهاب إلى مطعم الطير[٤] ، كما كان يركب للصيد ليلا ، ولم يعرف سلطان فعل ذلك إلا المؤيد ، كما كان من شدة حرصه على ممارسة الصيد كان يصطاد وهو فى طريقة إلى الحج ، فيذكر إنه فى ثانى ذى القعدة عام ٨١٧هـ/١٤١٦م خرج من قلعة الجبل وتصيد الكراكى والسناقر وغيرها وكان ذلك وهو فى طريقة إلى الحج .

وكان السلطان برسباى يخرج للصيد فى البرية ليلا ، وقد تكرر منه ذلك

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٣١٧ .
(٢) العينى : عقد الجمان ، جـ ٣ ص ٤٣٣ .
(٣) ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، جـ ١ ص ٣٧٤ – ٣٨٤ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٤ ص ٦٣ –٨٩ .

مرارا كما سرح إلى ناحية أطفيح[١] برسم الصيد والقنص وبات خارج المدينة ،كما كان يتوجه إلى جهة شبين وإلى بركة الحاج فى سرحات متوالية[٢] أما السلطان إينال ، فكان ينزل إلى مطعم الطير ، ويطلق البازدارية وهى طيور أعدها لهذا الغرض ثم يطلقون وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها[٣] وارتبط بالصيد رياضة رمى البندق[٤] ، وكان البندق يطلق بالمزاريق وهى أنابيب ترسلها بضغط الهواء أو بالنشاب أو بالأقواس أو بما يسمى قوس البندق أو الجلاهق ، وقيل بالرنطانة[٥] وكان يستخدم فى رمى الطيور ، حتى أن خط البندقانيين بالقاهرة ينسب إلى صناعة البندق[٦] فيذكر أن بيبرس سار إلى العباسية ورمى البندق[٧] ، واعتبر أن رمى البندق وسيلة للتدريب على الرمى بهدف إجادة فنونه ، وعلى ذلك كان السلطان يهتم بهذا التدريب ويتأكد بنفسه من جدية التدريب ففى ربيع الأول ٨٩٥ هـ / ١٤٩٤م عرض السلطان قايتباى أولاد الناس أصحاب الجوامك من ألف درهم فدونه ، وكان أمرهم أن يتعلموا رمى البندق[٨] .

---

(١) أطفيح من البلاد المصرية القديمة تقع على الشاطئ الشرقى للنيل (انظر: ابن تغرى بردى: النجوم ، جـ٥ ص ٣١٧ هامش "١").

(٢) ابن تغرى بردى : نفس المصدر ، جـ ١٤ ص ٣٦٧ .

(٣) ابن تغرى بردى : نفس المصدر ، جـ ١٦ ص ٢٦٧ .

(٤) البندق كلمة فارسية تعنى الرصاص أو الطين أو الحجر، كما أطلق على البندق المصنوع من المعدن لفظ الخردة ، وكانت تستخدم فى الصيد (أنظر: المقريزى: السلوك جـ ٤ ص ٦٥).

(٥) لطفى نصار : وسائل الترفيه ، ص ٢٢٨ .

(٦) شوق البندقانيين ، من جملته حوانيت لعمل قسى البندق ، وكان به عدة حوانيت مرخمة بأنواع الرخام الملون وبها مصانع من ماء تجرى إلى فوارات تقذف بالماء على الرخام (انظر : على مبارك ، الخطط التوفيقية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣ ، جـ ٣ ص ١٥٩) .

(٧) المقريزى: السلوك، جـ ١ ص ٥٢٣ هامش "١"، سرود: دولة الظاهر بيبرس، ص ١٤٠.

(٨) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ص ٢٧٠ .

الألعاب الأخرى المتصلة بالحيوانات والطيور :

فضلا عما سبق فقد وجدت ألعاب أخرى منها اللعب بالطيور ، وقد شـــغف السلاطين المماليك باللعب بالحمام(١) وقد أثر عن السلطان المنصور إنه كان يلعب الحمام مع الغلمان ، وعرف عن السلطان الكامل شعبان ولعه بحب الحمام فأمر بأن ينادى فى القاهرة بالا يعارض أحد لعب الحمام أو غيره من أرباب الملاعيب ، وقد أنفقوا الكثير من المال على هذه اللعبة ، فقد بلغ ما أنفقه المظفر حاجى على عمـــل حظير خاص بالحمام نحو سبعين ألف درهم(٢) .

وكان هذا السلطان من كثرة شغفة بلعب الحمام صرفه هذا عن تدبير شئون الدولة ، والقيام بأعباء الحكم ، فوصف بالطيش الزائد ، ويذكر أن هـــذا الـــسلطان وضع للحمام خلاخل ذهب فى أرجلها ، وألواح ذهب فى أعناقهم ، وكذلك صـــنع لهم مقاصير خشب مطعمة بالعاج والأبنوس ، وأقام لهم غلمانا يكفلونهم ، ورتـــب لهم فى كل شهر جوامك لخدمة الحمام وبلغ مصروف ذلك خمسين ألف دينار(٣) .

ومن الألعاب الأخرى مناقرة الديوك(٤) وتناطح الكباش والثيران وقد شغف الغورى بهذه الألعاب ، فبعد أن يفرغ من لعب الكرة أعتاد الطلوع إلـــى الحـــوش والجلوس بالمقعد الذى به ، ويحضر أمامه الثيران والكباش برسم النطاح ، ويستمر

---

(١) اللعب بالحمام يقصد به مطيرى الحمام ، وهو نوع من الحمام يستخدمه الغواة فى المناقرة والمراهنة (انظر: المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ص ٦٤٢) .

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق،القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٧م، جـ ٢ ص ٤.

(٣) المقريزى : السلوك، جـ ٢ ص ٧٢٩، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١ ق١ ص ٥١٦.

(٤) مناقرة الديوك : كانت مناقرة الديوك أن أن الديكين يقفا للاصطدام ويصرا على الاصطدام ، فمن ضرب منهم من شدة النقرة خسر المراهنون عليه الرهان ، (انظر : لطفى نصار : وسائل الترفيه ، ص ٢٤٧).

فى ذلك إلى ما بعد العصر ، كما تتناطح بين يديه الأفيال الكبار والسباع[١] .

ويذكر أنه كان هناك ما يسمى بالقرادة والدبابة وهم الذين يلعبون بـــالقرود والدببة[٢]، وكان لهذه الألعاب ضامن يسمى (كمجتى) يحصل مال كثير من ضرائب مقررة على أرباب الملعوب المناطحين بالكباش، والمناقرة بالديوك وغيرها[٣].

ويبدوا أنه كانت هناك أماكن مخصصة احتفظت فيها بـــبعض الحيوانـــات المدربة والغريبة ، وكأن هذه الأماكن جمعت بين خصائص حـــدائق الحيوانـــات ، وبعض صفات السيرك فى العصر الحالى ، وكان الناس يذهبون إلى هذه الأمـــاكن للنزهة والتسلية ، فقد ذكر (تافور) الرحالة أنه شاهد هذه الأماكن التى يحتفظ فيهـــا بالفيلة ، وقال : أنه شاهد سبعة من الفيلة المدربة على بعض الألعاب منهـــا قـــذف الرمح فى الهواء بخرطومها ، ثم الإمساك به ، كما أنها تقوم بألعاب أخرى كثيرة ، كما شاهد الزرافة فى مكان أخر[٤] .

وكان المتحصل من أرباب الملاعب كثير جـــدا ، إلا إننـــا وجـــد بعـــض السلاطين منعت هذه الألعاب ، ففى عام ٧٤٤ هـــ / ١٣٤٤ رسم الأمير الحاج آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بإبطال جميع أرباب الملعوب[٥] .

غرائب متصلة بالحيوان والطير :

ارتبطت بعض الأمور الغريبة من قبل ســـلاطين المماليـــك فـــى ولعهـــم بالحيوانات والطيور ، منها أن بعض هؤلاء المماليك ذو الأصل المغولى اعتـــادوا

---

(١) محمود رزق : الأشرف قانصوه الغورى ، ص ١٨٣ .

(٢) المقريزى : السلوك ، جـــ ٢ ص ٦٤٢ .

(٣) المقريزى : نفس المصدر ، جـــ ٢ ص ٦٤٢ .

(٤) قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك . التاريخ السياسى والاجتماعى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، ١٩٨٨م ، ص ٣٣٨ .

(٥) المقريزى : السلوك ، جـــ ٢ ص ٦٤٢ .

على أكل لحوم الخيل ، كما صنعوا من ألبانها نوعا من أفضل الخمور ، وأطلقـوا عليه اسم نبيذ (القمز)[1] .

ومن الغرائب أيضا استخدامهم ما يسمى بالطيور المخلقـة – المعطـرة – بالروائح العطرية المسماة (خلوق) ، فقد كانت العادة فى نقل الأخبار السارة بأن تمسح الطيور والبطائق التى تحملها بهذه المادة أو غيرها من العطور ، أما طيـور الأخبار السيئة وبطاقاتها كانت تلطخ بالسواد[2] .

ومن غرائب السلاطين أيضا أنه فى عام ٦٩٨هـ /١٣٠٠م قام المنـصور لاجين عند تعميره لجامع أحمد بن طولون ، جعل وقفا يختص بالديكة التى تكـون فوق سطح الجامع المذكور فى مكان مخصص بها ، وزعم أن الديكة تعين الموقتين وتوقظ المؤذنين فى السحر ، وضمن ذلك كتاب الوقف ، ثم أبطل ذلـك حتـى لا يضحك الناس عليه[3] .

ومن عادة السلاطين المماليك أنهم كانوا يتـصدقون بمـثن الفـرس عنـد مرضهم ، فلما مرض السلطان خشقدم باع أحد أفراسه وتصدق بثمنه على الفقراء ، وكانت هذه عادة قديمة عند الملوك إذا أصيبوا بمرض يتقربون بذلك لينعم الله عليهم بالشفاء[4] .

كما عرف فى دولة المماليك ما يسمى الآن معامل التفريخ وهـى معامـل كالتنانير يعمل بها البيض ، ويوقد بنار يحاكى بها نار الطبيعة فى حضانة الـدجاج

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة : جـ ١ ص ٢٠٨ ، إبراهيم عبد المنعم سلامة : جوانب من تاريخ مصر فى عصرى الأيوبين والمماليك :، ص ٤٢٦ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٩٧ هامش "١" .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٨ص ٨٧ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ص ٨٢ ، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، م٢ ص ٣٥٦ .

البيض ، ويخرج فى تلك المعامل الفراريخ[١] .

الهدايـــا والانعامات :

جرت عادة سلاطين المماليك أن ينعموا على أمرائهم بالخيول مرتين فـــى السنة الواحدة، المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القرط(نبات عشبى يشبه البرسيم) فى أواخر الربيع ، فينعم على الأخصاء من أمرائه بما يختاره مـــن الخيول قدر مراتبهم وتكون خيول المقدمين منهم مسرجة ملجمـــة بكنـــابيش مـــن زركش ، وخيول أمراء الطبلخانات عريا من غير قماش .

والمرة الثانية عند لعبـــة الكـــرة بالميـــدان ، وتكـــون خيـــول المتقـــدمين والطبلخانات مسرجة ملجمة بفضة يسيره بلا كنابيش ، وكذلك يرسل إلـــى نـــواب الممالك الشامية كل واحد ، وليس لأمراء العشرات فى ذلك خط إلا ما يتفقدهم بـــه على سبيل الأنعام .

وكان لخاصة المقربين من الأمراء المقدمين والطبلخانات زيـــادات كثيـــرة يصل بعضها إلى مائة فرس فى كل سنة ، وكان له أوقات أخرى يفرق فيها الخيل على مماليكة ، وربما أعطى مقدمى الحلقة ، وكل من مات له فرس من مماليكـــة دفع إليه عوضه ، وربما أنعم بالخيول على ذوى السن من أكـــابر الأمـــراء عنـــد الخروج إلى الصيد ونحوه ، ولخيول الأمراء كل سنه إطلاقـــات أراض بالأعمـــال الجيزية لزرع القرط لخيولهم من غير خـــراج ، وللمماليـــك الـــسطانية البرســـيم المزروع على قدر مراتبهم وما يدفع إليهم من القرط ويكون بدلا من عليق الشعير المرتب لهم من غير زمن الربيع عوضا عن كل عليقه نصف فدان من القرط[٢] .

كما كان من عادتهم أن يبعث إلى الأمير بهذه الخيول مـــع أميـــر آخـــوره

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جـــ ٢ ص ١٩٧ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـــ ٤ ص ٥٦ .

وأوجاقى، وسائس، وركبدار ، ويترقب عودتهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم ، فإن شح الأمير فى عطائه لهم تنكر له وبكته ووبخه(١) .

وكان كذلك ينعم على قاضى القضاة بعد قراءة صحيح البخارى التى كانت تتم قبل قدوم شهر رمضان، ففى سلطنة الأشرف برسباى أخلع على قاضى القضاة الشيخ سراج الدين عمر البلقينى بعد قراءة صحيح البخارى بغلة بزنارى تخرج له من الأسطبل السلطانى، والزنارى فى مصطلح الفروسية فى مصر نوع من الأجلال يكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدود على الكفل بحيث لا يرى الذيل، وكان لزنارى يعطى بدل الكنبوش لمن عظمت مكانته ومقامه عند السلطان، ويصنع من الأطلس الأحمر أو الجوخ(٢) ولشغف السلاطين بالحيوانات وطيور الجوارح والزينة ، نجد أن كثيرا من الهدايا التى أرسلت إلى السلاطين من ولاتهم فى الأقاليم كانت أغلبها مشتملة على حيوانات وطيور ففى عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م أرسل صاحب اليمن هدية قيمة للظاهر بيبرس تشتمل على تحف ودب أسود وفيل(٣) وفى عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م تلقى السلطان الناصر محمد هدية من صاحب دنقلة – من أعمال الصعيد– مكونة من جمال وأبقار وحشية(٤) ، وبعث صاحب أفريقيا أحمد بن محمد من سلالة الموحدين عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م هدية نفيسة وهى عدد من الجياد العربية الأصيلة فسر بها السلطان(٥) وفى عام ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م وصل نائب الشام تنم الحسنى ومعه هدايا حافلة للسلطان من جملتها عشرة كواهى للصيد ومائة وأربعون فرس ، ومائة وخمسين جملا وأربعين كنابيش ، وثمانية سروج من

(١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ص ٥٣٢ .
(٢) ابن تقرى بردى : النجوم ، جـ ١٤ ص ٢٦٧ .
(٣) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ٥٩٥ .
(٤) محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، م٢ ص ٢٤٠ – ٢٤١ .
(٥) ابن خلدون : المقدمة ، جـ ٥ ص ٤٧٩ .

الذهب[١] ، وفى عام ٨٠٣هـ / ١٤٠١م أرسل تيمور لنك هدية للسلطان فرج بسبب إطلاق سراح قريب له كان فى عدادها فيل عظيم الخلقة ، وعلى ظهره صندوق من الخشب يسع عشرة رجال[٢] كما أرسل الملك يوسف بن يعقوب المويني صاحب المغرب هدية عظيمة للسلطان من الخيل والبغال بالسروج المذهبة واللجم والركاب المكتفة بالذهب[٣]

ويتضح لنا مما سبق أن الحيوانات والطيور شكلت جانبا مهماً ووسيلة أساسية من وسائل الترفيه والتسلية فى العصر المملوكى ، وجزأ هاما من تاريخهم الاجتماعي وقدرة المصريين على ترويض الحيوان والطير واستغلال ذلك فى الترفيه عن النفس والتسلية ، حيث لا تخلوا تسلية من منفعة أو فائدة.

---

(١) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، جـ ١ ص ٤٤٠ .

(٢) محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ، م٢ ص ٢٤٢ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م ج١ ص ٢٦٣.

المصـــادر العربيـــة

ابن خلدون : (محمد بن أحمد) ت ٩٣٠هـ /١٥٢٤م

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق / محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٨٤م

ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله اللواتى) ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المعروف (برحلة ابـن بطوطـة) ، تحقيق / على المنتصر الكتانى ، القاهرة ١٩٨٥م .

ابن تغرى بردى : (جمال الدين أبو المحاسن) ت ٨٧٤هـ /١٤٧٠م

- حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، تحقيق / فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ١٤١١هـ /١٩٩٠م
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٨-١٩٧٢م

حاجى خليفة : (مصطفى المسمى كاتب شلبى) ت ٦٧١هـ / ١٦٥٧م

- كشف الظنون على أسامى الكتب والفنون ، تحقيق / محمد شرف الدين ، بيروت.(د.ط)

ابن حجر العسقلانى : (أحمد بن على بن محمد) ت٨٥٢هـ / ١٤٤٩م

- أنباء الغمر بأنباء العمر ، بيروت ط١ ، ١٣٥٩هـ / ١٩٦٩م
- الدار الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، تحقيق / محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٦م

ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م

- العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بالمقدمة ، تحقيق / على عبد الواحد وافى ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

السبكى : (تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب) ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م

- معيد النعم ومبيد النقم ، دار الحداثة للطباعة ، ط٢ ١٩٨٥م

السخاوى : (محمد عبد الرحمن بن أبى بكر) ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار الحياة ، بيروت (د.ط)

السيوطى: (جلال الدين بن عبد الرحمن) ت ٩١١ هـ / ١٠٥٦م

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة ، تحقيق محمد أبـو الفـضل إبـراهيم ، مطبعـة الموسوعات ، القاهرة ١٩٦٨م

ابن شاهين : (غرس الدين خليل) ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق / بولس راويس ، باريس ١٨٩٤م

ابن الصيرفى : (على بن داود الجوهرى) ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م

- نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق / حسن حبشى ، دار الكتب القاهرة ١٩٧٣م .

العينى :(بدر الدين أبو محمد بن موسى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م

- السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، تحقيق / فهيم محمد شلتوت ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب القاهرة ١٩٩٨م
- عقد الجماعة فى تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٠م .

ابن الفرات : (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م

- تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك) ، تحقيق / قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت ١٩٣٦-١٩٣٨م

الفتى قتبر : الخيل والأدوية وطريقة اسطواتهم وسياستهم ، محفوظ بدار الكتب المصرية ، رقم (٤٢٢٠) طب خليل أغا.

ابن قاضى شهبة : (تقى الدين أبى بكر بن أحمد) ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م

- تاريخ ابن قاضى شهبة ، تحقيق / عدنان درويش ، دمشق ١٩٧٧م

القلقشندى : (الشيخ أبو العباس أحمد) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية . (د.ط)

المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق / محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٤-١٩٨٥م
- المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية مكتبة الثقافة الدينية ، (د.ط)

المراجع العربيـــة :

- **إبراهيم طرخان** : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، مكتبة النهضة (د.ط)
- **إبراهيم عبد المنعم** : جوانب من تاريخ مصر فى عـــصرى الأيـــوبيين والمماليـــك ، دار المعرفة الجامعية ، د.ط
- **جمال الغيطانى** : ملامح القاهرة فى ألفى عام ، كتاب الهلال ، القاهرة ١٩٨٣م
- **عاشور** : الظاهر بيبرس ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٢٠٠١م
- **على إبراهيم حسن** : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٤٨م
- **على مبارك** : الخطط التوفيقية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣م
- **قاسم عبده قاسم** : عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى ، عين للدراســـات والبحوث الإنسانية ، ط١ ١٩٩٨م
- **لطفى نصار** : وسائل الترفيه فى العصر المملوكى ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٩م
- **محمد أحمد دهمان** : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، دار الفكر المعاصـــر ، بيروت ١٤١٠هـ /١٩٩٠م
- **محمد جمال الدين سرور** : دولة بنى قلاوون فى مـــصر ، دار الفكـــر العربـــى ١٩٦٠م ، دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، د.ط
- **محمد الششتاوى** : متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى ، دار الآداب العربية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م
- **محمود رزق سليم** : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى ، مكتبة الآداب، ط١ ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م
- **مصطفى عبد الكريم الخطيب**: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، بيروت ، ١٩٩٦م